بومبي العظيم (١) Pompey The Great

تأليف جَنْ مسفيلد John Masefisld

ترجمة محمد على مصطفى

المفتش بوزارة المعارف

٢

الفصل الثانى — المنظر الأول

خيمة القواد وأركان الحرب عند درازو ، وفيها منضد حوله بضعة كراسى يجلس عليها دوميتيس وليتوس وثيوفانيس . آثار الحرب ظاهرة فى كل شىء .

دوميتيس : هكذا تمر الحوادث ، وتتقلب الأيام ، انظروا إلى « الخريطة » تروا أن مركزنا حرج للغاية ، فلقد خسرنا أسبانيا ، وحاصَرنا قيصر من كل جهة حتى كأنا قطعان غنم سيقت إلى حظائرها . أليس لبومبي حماسة وحمية ؟ أو اعتراه السكر حتى لا يفيق ؟

ثيوفانيس : إن « فلاكس » يزحف على خط قيصر فى هذا الصباح ، وسيحمل عليه حملة ناجحة ، ويغير على جنده فى ثلاث نقط منصورا إن شاء الله !

دوميتيس : « فلاكس » صبى لم تؤدبه التجارب ، ولم تطل خبرته بالحرب ، ولقد أضعنا حولا كاملا ونصف العاهلية .

(هنا يدخل بومبي مسرعا فيحييه)

بومبي : عموا صباحا ، لقد دعوتكم لأمر جلل فان جيشنا الذى كان بأسبانيا تحت

(١) راجع ما نشر من هذه الرواية فى العدد الثانى من السنة الثانية من صحيفة دار العلوم ص ١٤٤ — ١٦٤

قيادة « فلاكس » قد هزمه العدو شر هزيمة ومزقه إرْباً ولقد كانت رسائل « فلاكس » تبعث فينا الأمل فى الانتصار والفوز المبين ، ولكن الحظ لم يشأ أن يتم لنا ذلك ، ونحن أعلم بالحرب وتقلبها ، وعار علينا أن نعزله ونختار للقيادة غيره فلسنا بالتجار

دوميتيس: لقد نزلنا عن إيطاليا ، وأضعنا أسبانيا ، واحتل العدو إفريقية ، وأخذ ميسيليا ، وتقهقرت جنودنا فى كل مكان ، ولقد يحق لنا أن نتساءل عن أسباب الهزيمة ، فانا لم نأت إلى هنا ليحاصرنا جيش قليل العدد والعدة.

پومپي : رحمك الله ياسلا ؛ فلقد نطقت بالحكمة حين قلت : « إن على أن أحبب إلى الجنود بملاطفة الأفراد والكلام معهم فى الفينة بعد الفينة ، وليس فى مقدورى أن أحبب القواد فى أفكارى مهما أطنبت وأسهبت فى ذكر الحجج » . انتظروا فستعلمون نبأه بعد حين

لينتولس : پومپي ، أنا لا أحب الانتقاد ، ولكن الانتظار مدعاة إلى الفشل ، ومجلبة للخراب العاجل ، ولقد فر من حولنا حلفاؤنا ، وهاهى ذى رومة تخرج من أيدينا — رومة التى تنظر إليك بعين ملؤها الأمل والرجاء فى القضاء على هذه الفتنة الشعواء ، ولكنك تركتها تشتعل ويتأجج لهيبها ، ولقد رأيت أتباعنا يقتلون ويقطعون ، ومع هذا لم تحرك ساكنا ، واضيعة الأمل !

پومپي : مهلا .

دوميتيس: لقد انتظرنا حولا كاملا .

پومپي : وماذا عليكم لو صبرتم برهة أخرى ؟

لينتولس : وبينما نحن فى انتظار ، إذ يتغلب الرعاع على طبقة الأعيان فى جميع بقاع العالم ، حتى لا يتركوا لها من أثر (يقف)

پومپي : لينتولس ، اجلس ولا تعجل ، فان الحرب فى يدى .

دوميتيس: إنما يفوز بالحرب الجسور (يدفع الباب الصغير جانبا) ألا ترى إلى قمم الجبال بجانب هاتيك الأدغال فى تلك البقعة الحمراء الملتهبة ؟ هذا هو معسكر

قيصر . وأقسم لقد ذهبت إليه مرارا وقد أقبل الظلام ، وأرخى الليل سدوله ، فكنت أتلمس الطريق بين المتالع والربى ، أحيانا بين الصخور وآونة فوقها ، والأنجم الزهر ترشدنى ، حتى إنك لتجدنا على بينة تامة من ذلك المعسكر ، وليس بدعا إذا أخبرتك بأن فى استطاعتى أن أقود جيشا إليه معصوب العينين .

هذه « خريطة » (يفتح « خريطة ») هذه النقط الحمراء هى مواقع الحرس ، ولم أضع واحدة منها فى موضعها إلا بعد أن خاطرت بدم قلبى ، وكثيرا ما كنت أزحف على يدى ، والتصق بالأرض ، وأكتم أنفاسى ، وأرجو القمر أن يتوارى بالحجاب ، مخافة أن يرانى أحد من رجال الحرس الذين سمعتهم يخوضون فى أحاديث الشوق والغرام ، وقصص المحبين ، وأشهد لقد رأيت الضابط ذات ليلة يطوف على رجاله ، ويتعهد معسكره ومعه مصباح ، فغمضت عينى خشية أن ينما علىّ .

إن فى مقدرتى الاستيلاء على ذلك المعسكر بفرقتين فحسب فى ليلة حالكة الجلباب غدافية الإهاب ، لقد قسمت هذه الحرب الشعواء العالم قسمين ، إنك أرسلت « فلاكس » فى عدد من أشداء الرجال لأمر هين ومع هذا لم يتم له ما أراد ، هل لذلك من مبرر ؟ أخبرنى أولا ثم مرنى بالانتظار

بومبي :« فلاكس » فى الموقعة الفاصلة فى هذه الحرب

لينتولس :هذا لغو الكلام (يقف ثم يذهب)

دوميتيس:الفاصلة ؟ ألا أخبرك بالموقعة الفاصلة ؟ لقد كنت فى واحدة منذ ثلاثة أشهر فى ميليا . وعند نهاية الحصار لم يبق من المدينة الا أطلال بالية ، وباد السكان عن آخرهم ، الا نفرا أصابهم الوباء ، ورجالا لا يتجاوزون الأصابع عداً استولى عليهم الجنون من هول الفزع .

قذفتنا القلاع بالنيران ، والدبابات بالحجارة ، ولكن لم ينثن الجند عن تخريب المدينة وتدميرها ، فكنت ترى جيوشا جرارة كأنها قطع الليل

يكل دون غايتها الطرف ، تتنافس فى سبيل الغارة ؛ هذه هى الموقعة الفاصلة .

بومبي : دوميتيس ، حينما يفكر الانسان فى شىء خاص ، وتشتد رغبته فى الحصول عليه ، تغره الأمانى الكاذبة ، وتستولى عليه الوساوس ، ويصير شيطانا رجيما لاشفقة عنده ولا رحمة ، انك أخبث من الشيطان ، لأنك إن لم تجد أعداء تحاربهم ناجزت أصدقاءك العداوة ، فان لم يتيسر ذلك أعلنت الحرب على نفسك ، فاذا هزمتها حاربت الأفكار ، لا لأنك تفهمها ، بل لأنك مجبول على حب القتال ، إنى أخافك يادوميتيس لان أصدقاء الرجل هم الذين يفهمون أفكاره وينشرونها بين الناس ، وأنت صديق قيصر

دوميتيس : (بتهج) لقد قلت أخى أيام كنت فى ريعان الشباب ، وزهرة العمر ، وأقسمت لآخذن بثأره وأمزقن قلبك تمزيقا . ألا تذكر يوم تناولنا الغداء معاً حينما وضعت يدى على كتفك ؟ ولكن أنى لك أن تذكر ذلك وقد مضى عليه نحو عشرين سنة ، لقد كان بيدى الأخرى سكين حاد أستطيع أن أطعنك به طعنة نجلاء تصل إلى سويداء قلبك ، ولكنى آثرتك على أخى حينما علمت أنك أصدق منه وطنية وأكثر إخلاصاً لبلادك ، وأنك البطل الذى تحتاج اليه روما (سكوت) (بشدة) إنك تخالف ضميرك اذا دعوتنى صديق قيصر ، مع علمك بأنه يخشى بأسى وترتعد فرائصه عند ذكرى .

بومبي : نعم انك صديق قيصر ، فضربات قلبيكما واحدة ، ولست تحقد على الا لأنى لا أسفك الدماء . ولا ألطخ يدى بها كما يفعل قيصر ، وبينما أنت تنقم منى إذ يصلى فلاكس الأعداء نارا حامية ، فلا تفكر فى أمر الحرب فقد انتهت

(القواد يجتمعون فى جانب الخيمة ويتكلمون ناحية برهة)

يجب علينا أن نوجه كل عنايتنا إلى رومة ، وأن نذود عنها بكل مافينا من

قوة ، هذه هى الثورة السابعة للعامة منذ صباى، سبع ثورات عامة يراد بها الانقلاب ؟ ألا يعلمكم ذلك شيئا ؟ لقد قدمت إلى قيصر إيطالية مفككة الأوصال ، وأسبانيا مملوءة بالاضطراب عديمة النفع ، فقبلهما ، ورميت اليه نصف الكرة الأرضية فأخذه . وساقه طمعه إلى الشرك الذى نصبته له ، إن الخيرات كثيرة عندنا ، ولدينا أساطيلنا تحمى البحار ، وتسيطر على الأمواج ، أما قيصر فان خنادقه مملوءة بالوحل ، وجنوده تأكل من جذور النبات ، هل تسمى ذلك حصارا ؟ إنه احتفر خندقا طوله ثلاثون ميلا ، ومع هذا رجاله لا يستطيعون الذود عن ثلثه ، فقد استولى عليهم التعب ، ونال منهم الجوع ، فهو وجنده طوع أمرى ورهن أشارتى ، فليس يقدر على مناجزتنا ، ولا الغارة علينا ، ولا على أن يرتد إلى رومة ، وإن طعنة صغيرة فى قلب جيشه تسوقه إلى الهزيمة والفناء العاجل .

(يدخل البريد يحمل رسالة ثم يقدمها إلى بومبى)

البريد : من تتس بلشيو

بومبى : حسن

البريد : أهناك أوامر يامولاى ؟

بومبى : لا ، ووصلت

(يخرج البريد محييا)

ثيوفانيس: أمهمةهذه الرسالة ؟

بومبى : اقرأها .

ثيوفانيس: (يقرأ) من بلشيو ضابط الكتيبة الخامسة ، الى مركز القيادة العام، إن الغارة التى دبرها فلاكس لم تنجح ، فقد ردنا العدو على أعقابنا ، بعد أن خسرنا خسارة فادحة فى الأنفس والأموال ، وتقهقرت البقية الباقية إلى الخطوط القديمة فى جنوب النهر ، ولا يزال القتال دائرا بين الطرفين .

أنا زاحف بمن معى من الجند . لأن العدو فى غاية القوة والمنعة ، ومركزنا يدعو الى اليأس

دوميتيس: هؤلاء الشبان الأغرار يحتاجون الى درس . كيف تبرر الآن عملك يابومبي ؟

بومبي : انتظر

دوميتيس: كيف ذلك وجناحنا الأيمن يطوى طياً ؟

بومبي : ان قيصر ليحتاج الى يومين ليحضر فيهما عددا من الجند يسحق بهم الجناح الأيمن

دوميتيس: حقا يجب عليك ان تكسر العدو

بومبي : ستأكل هذه القوة نفسها ، اذ ليس فى استطاعة قيصر أن يزيد فيها ولا أن يعوضها ؛ إنى احارب وروما ملء قلبى ، ولن أرجع اليها فوق جثث الموتى وأصلابهم كما فعل سلا

دوميتيس: انك ستسير على جثث هؤلاء الأسرى الذين أخذتهم ليلة أمس فلقد قتلتهم

بومبي : كيف قتلت هؤلاء الأسرى ؟

دوميتيس : إنهم خرجوا علينا ، فهم عصاة خونة فروا من جندنا

بومبي : لا بد أن يحاكم الخائنون وتثبت خيانتهم

دوميتيس: لقد فروا من فرقتى وليس لهم جزاء غير القتل .

بومبي : لا تتكلم . إنك تجر علينا العار ، وتجلب لنا الفضيحة (سكوت - تغيير فى الصوت)

قد يكون لنا النصر أو سبة الأبد ، وسواء أكتب لنا الفوز أم لم يكتب إن جنودنا ستحارب بشرف ونفوس أبية ، لأنهم يجاهدون فى سبيل الوطن ويذودون عن الحق .

(يدخل ضابط كبير اسمه كوتا أعياه السفر وبانت عليه أمارات التعب)

كوتا : أنعى إليك يامولاى القائد ، فلاكس ،

بومبي : هل قتل ؟

كوتا : نعم يا مولاى .

دوميتيس: هذا مايحصل فى المعارك الصغيرة ، يقتل فيها العظيم من الرجال ، ومع هذا لا نتيجه لها .

كوتا : لقد ردنا الأعداء على أعقابنا ولم يفلح هجومنا .

بومبي : كيف كان ذلك ؟

كوتا : تسورنا الجدران ، وأخذنا معاقلهم ، وأضرمنا النيران فى بعض قلاعهم ، ولكنهم أحاطوا بنا من كل مكان ، وطلعت علينا كتيبتان حتى ظننا أن لا ملجأ من الموت ولا مفر منه .

بومبي : وماذا جرى لقائدكم ؟

كوتا : قتل فى حومة الوغى يامولاى ، لأنهم ساقونا سوق الأنعام ، وردونا الى المعاقل ، وكانت نيرانها تتأجج ، ولهيبها يستعر ، فعمت المصيبة ، واشتد الأمر ، وابلى القائد بلاء حسنا . فلقد رأيته مع بعض رجاله وقد انقضت عليهم كتيبة من الفرسان ، فنالوا منهم بالطعن والضرب .

قربت منه وحاولت نجاته ، ولم يمنعنى سوى انفجار النيران ، وتراكم الدخان ، وكثرة العدد . أقبل العدو بخيله ورجله ، ورأيت رجالى يقتلون ويصلبون ، وتبعنى جماعة من حملة الرماح ، فقذفوا بى خلف السور ؛ وعند ذاك رأيت جسم القائد ملتهبا يهوى فى الفضاء إلى مكامن النيران ؛ ولم يبق فينا من قوة نكر بها على الأعداء ، لأنهم مزقونا شر ممزق ، تشتت الجنود فى السهول كالوعول ، وقتلوا منا ثمانمائة محارب .

ليتولس : هذه هزيمة شنيعة .

دوميتيس: واضيعتاه ! أرواح بريئه أزهقت ، ودماء طاهرة أريقت .

بومبي : ماذا حصل بعد ؟

ساقونا إلى الخنادق القديمة بجانب النهر ، ثم إلى حفرة خلف السور

الخارجي (سكوت) هناك اشتد الزحام، وضاق بنا المكان، فكنا كقطعان الغنم سيقت إلى المذابح، ثم اجتمعوا علينا من كل ناحية، وتسلقوا السور زرافات زرافات، وقذفونا بالأحجار، ورشقونا بالنبال، وأحاط بنا الموت من كل جانب، وتراكمت جثث القتلى، وتفرقت أصلابهم، واشتد الفزع، وكاد الجزع يستولي على قلوب رجالنا، ولقد زعمت أنهم سيفرون من وجه العدو ويولون الأدبار.

وجدت ثلمة في الحائط فتسلقتها، ونظرت فرأيت كتيبة من فرسان قيصر ملأت السهل والوعر، تستحث الجنود وتردد صيحات دونها زئير الأسود، وقد برقت أسنتهم، ولمعت المعاول، أعملوها في الحائط أمامهم فتناثرت، وعلا الغبار، وأظلم الجو، وقصد فريق الباب فحاولوا تحطيمه، واستحضروا شجرة كبيرة، وما زالوا يضربونه بها حتى تطاير منه بعض قطع، ولكن كان وراءه ضابط يحميه ويزيد في تحصينه، ولما استعصى على الغالبين كسره، تسوروا الحائط وهم يتغنون بأناشيد الحرب، ورشقوا ذلك الضابط بالسهام، ولكنها لم تصبه، ووقعت حوله حتى تطايرت الحجارة في وجهه، ولم يكن مع ذلك الضابط سوى جندي واحد يؤازره ويعاونه على عمله. وكلما ضرب الأعداء الباب بالشجرة، تحمس هذان وصاحا صيحة سرور؛ ليوهما أنهما في عدد كثير. وما زالا كذلك حتى كتب لهما الفوز.

فان جنودنا لما لم يكن لهم إلا الموت أو التسليم للعدو، تسليما يلحق بهم عار الأبد، استبسلوا في القتال، واستماتوا في الدفاع عن مراكزهم وبلادهم ودمائهم، وملأت الشجاعة قلوبهم، وآثروا الموت مع الكرامة، وحملوا على الأعداء حملة رجل واحد، فبعثوا الحرب قدما متكافئين، فدارت رحاها، وحمي وطيسها، واستعر لظاها؛ وفي تلك الساعة العصيبة سمعنا المزامير والغناء، وأتت لنصرتنا الفرقة الخامسة على أكمل نظام، وأتم تعبئة. فكنت ترى جيشا كأنه بنيان مرصوص، يموج بعرجه

الفضاء ، فزاد حماسنا ، واتقدت الحمية فى قلوبنا. وصدقنا الحملة على رجال قيصر ، فسقناهم سوق الأنعام، وضربناهم ضرب غرائب الابل ، وأحطنا بهم فى خندق هناك ، وأعملنا فيهم الرماح ، وأشرعنا نحوهم الأسنة ، وروّينا السيوف من دمائهم

فراحوا : فريق فى الإسار ، ومثله قتيل ، ومثل لاذ بالسهل هاربه وكتب النصر لنا ، ورفرفت أعلامه على جيوشنا ، ولقد خسر قيصر ألف قتيل ، واستولى الفزع على بقية جنده . وخلعت قلوبهم من صدورهم ، وتفرقوا فى السهول ، وذهبت قوتهم فلا يقدرون على لقائنا أو لقاء غيرنا مرة ثانية .

بومبي : حسن جدا (تنفخ الأبواق)

كوتا : إنهم يرسلون الآن جسم القائد مع الاحتفال العسكرى يامولاى .

بومبي : نعم ، اجمع أسماء القتلى والجرحى من جندك وابعث إلى بها . أرح فرقتك ومر لهم بشراب ، وأخبرهم أنى سأتحدث إليهم بعد قليل

كوتا : شكراً لك يامولاى .

(يخرج محيا)

دوميتيس: كوتا ، انتظر لحظة

(يخرج وراءه)

تيوفانيس: إنى أسمع بوق قيصر فهل يريد منا السلام ؟

لينتولس: لم يطلب الينا الصلح بعد معركة صغيرة كهذه .

بومبي : لقد أصابت قلب جيشه ، ولذا تراه يتقدم الينا بطلب الصلح ، فان أجبته كان ذلك مدعاة للحرب مرة ثانية . وان رفضت استمر الخراب والتدمير وضاع كثير من الأنفس والأموال

تيوفانيس: هل تأذن لمبعوث قيصر بالدخول عليك ؟

(يدخل دوميتيس)

دوميتيس: لقد تقهقر قيصر وتفرق جنوده فى كل ناحية ، وفروا من الخنادق وتركوا الأسوار الجنوبية

بومبي : ذلك خير درس له . يجب عليه أن يدفع اليهم ثمن النفوس الطيبة التى ضحوا بها فى سبيله ، ولكن أنى له ذلك وكل مافى جهده أن يخلصهم من مصيبة أوقعهم فيها جنونه ؟

تيوفانيس : فى وسعه أن يتقهقر

بومبي : كيف ذلك ، والى أى مكان يذهب وأساطيلى تحمى البحار ، وفى الشمال قبائل متوحشة ، وفى الجنوب حصون تموج بالجند ، وأنا هنا فى الغرب مع جيش ، والى الشرق متيلس مع جيش آخر ، فليس هناك من وسيلة لنجاته ، فهو مضطر الى طلب الصلح .

دوميتيس: هل تقابل مبعوث قيصر ؟

بومبي : نعم ، يجب أن يرفرف علم السلام على روما اذا سلم قيصر وجيشه . . .

دوميتيس: لا فائدة فى تسليمه .

نيوفانيس: يجب القضاء عليه .

ليتولس : وكيف تدير شئون روما وقيصر على قيد الحياة ؟

بومبي : استمرت الحرب زمنا طويلا حتى سئمتها النفوس ، ولم ينجح أحد من كبار القواد فى وضع حد لها ، ولذا لا أرى من مبرر لاتباع طرائقهم ، ان روما يجب أن تمتع بسلام دائم

دوميتيس: اذا لم تضرب قيصر ضربة قاضية ، وتنكل به أشد تنكيل ، وتذقه العذاب ألوانا ـ فانك خائن لوطنك .

بومبي : لقد وضعت لنفسى خطة حربية ، ووطنت العزم على اتباعها وعدم التزحزح عنها قيد شعرة ، فاذهب إلى مكانك ولا تسمعنى شكايتك مرة ثانية

(صوت فى الخارج ونفخ أبواق)

الصوت : استعداد ! سلاح ! سلام !

بومبي : ليس للحياة قيمة فى ذاتها وانما قيمتها بالأعمال . ادخل

كوتا : (يدخل) الجثة يامولاى ، وهذا مبعوث قيصر

(هنا يدخل حاملو الجثة . وتنفخ الأبواق احتفاء ، بها ويحييها الحاضرون. يدخل ماركس اسيليس مع ضابطين . معصوب العينين . يخرج كوتا والضابطان وحملة الجثة ثم تزاح العصابة)

أسيليس : بومبي قد أحضرت جثة قاتلك

بومبي : ماذا تحمل إلينا من الأخبار؟

اسيليس : إنى موفد من قبل قيصر

بومبي : وماذا يطلب ؟

أسيليس : يطلب منك أن تضع حداً لهذه الفتن الشعواء ، فان مآل الحرب الخراب والدمار . إن الآلهة قد أعطتكما نصرا متكافئا ، فلكل منكما الآن نصف المملكة ونصف العالم ، وهذه أحسن فرصة لطلب صلح عادل ، أما إذا ساعد الحظ أحدكما غدا فستأخذه نشوة النصر ويشتط فى الطلب ، ويطمع فى امتلاك العالم كله ، حتى لايبقى للصلح مجال عنده (سكوت) لهذا يتقدم اليك قيصر بطلب الصلح ، ان كان لك فيه رغبة ، وانه ليأخذ عهدا أكيدا على نفسه على ملأ من الناس ، أن يجرد جيشه من السلاح ويسرحه ، فى مدة لاتتجاوز ثلاثة أيام . هذا هو اقتراحه

بومبي : منذ نحو سنة أصدر السناتو أمره إلى قيصر بأن يجرد جنده ، ولكنه لم ينفذ ذلك القرار إلى الآن ، فهو خارج على الحكومة ، ولهذا أرى أنه لابد أن يخضع للسناتو وينفذ أمره ويكون تحت رحمته .

أسيليس : هذه حرب شخصية بينك وبين قيصر .

بومبي : كلا فإنى أمثل السناتو .

أسيليس : إن حزبنا لايعترف بحزبك ، ولا يرى للسناتو عليه أى سلطة شرعية .

بومبي : أصغ إلى ، لقد حارب قيصر الحكم الجمهورى فلم يفلح . وسأجعل من شروط المعاهدة أن يعترف بتلك السلطة الجمهورية .

اسيليس : إن قيصر لم ينكر هذه السلطة ، ولا يريد القضاء عليها ، وإن وجودى فى هذا المحل ، ومثولى بين يديك لأطلب الصلح إليك ، لاعتراف صريح منه بها ، ولكنه يحارب أولئك الذين أساءوا استعمالها ، وشوهوا وجهها ، وحطوا من كرامتها ، وأنزلوها منزلة لا تليق بها .

أستودعك الله ، (عند الباب) ستقبل الصلح إذا خضع قيصر ، وركع لك وسجد ، وأتى إليك صاغرا ، هذا حسن — إنه سيفعل ذلك على ملأ من الرومان ، وبمرأى منهم ومسمع ، وسيكون لهم حق الحكم عليه أوله . إن حقوق رومة — حقوق الوطن المقدس — أولى بالمراعاة من الشرف الشخصى . ألا يكفى ذلك ؟

بومبى : أرى أن لا دخل للشعب فى هذا الأمر ، وسأعلمهم الخضوع لحكامهم ، وطاعة أولى الأمر منهم ، وإن قيصر ليس بنجيه مناسوى خضوعه للسناتو .

اسيليس : أما وقد أبيت الا حربا ، فأنت المسئول بين يدى الأمة عن الأرواح الطاهرة ، والدماء البريئة التى تراق فى هذا السبيل . (يذهب)

بومبى : يكفينى أن يأتى قيصر إلى صاغرا أمام الجيش ، وأن يرى الشعب منه عملا يدل على الخضوع والاستكانة ، حتى لا يزعموا أنه أرغمنا على قبول شروطه ، بعد أن أخذ إيطاليا منا عنوة .

اسيليس : هل أخبره أنك ترفض الصلح ، (بصوت منخفض) خوفا من ظن العالم بك ، وسوء رأى الناس فيك ؟

بومبى : أتستهين بذلك وتعده قليلا ؟ انما نحارب لتكون لنا السيطرة على الأفكار — لنمتلك قلوب الناس وعقولهم . إنى لا أود السيادة ، ولولا أنى أعرف ما يتطلع اليه قيصر لما ناجزته العداوة ، إنه يرغب فى أن يكون ملكا واسع السلطان ، وأن يحلى رأسه بالتاج . حتى لقد استهوى العامة ، واستمال قلوبهم بما نثر عليهم من الدراهم والدنانير .

على قدر عقل المرء وبعد نظره ، يكون فوزه ؛ فيجب علينا أن نحسب حساب المستقبل ، حتى لا نقع فى الشر . إنى أرى رومة

ملطخة بالدماء ، تئن تحت مظالم القياصرة بعده ، وهي تمد إلى يدا للأخذ بناصرها . أنا شيخ كبير مارست الحرب وجربتها طول حياتي ، فهي متلفة للعباد ، ذهابة بالطارف والتلاد ، وسأقضي عليها قضاء لا تتنفس بعده أبدا . لقد سمعت الشروط (يضرب الجرس)

(سكوت — يدخل ضابط)

هل تقبلها أو ترفضها ؟ لا تعجل في العجلة الندامة .

اسيليس : أرفضها !

بومبي : (للضابط) خذ فرقة من الجيش وأغر بها على طلائع قيصر ، وأضرم النار في معاقله .

(يخرج الضابط)

أسيليس : ليس هناك إذن مجال للصلح ، ولا بد من قطع المفاوضة ، فان لنا نفوسا تأبى الذل ، وتفضل الموت مع الكرامة ، فلا تقبل تلك الشروط المهينة ، لقد أديت الواجب ، فهل لك أن تصغي إلى نصيحة اختصك بها؟

بومبي : نعم . (للقواد) اتركونا برهة

(يخرج القواد)

اختصر ، فخير الكلام ما قل ودل (يخاطب بهذه العبارة أسيليس)

أسيليس : لقد تزوجت والدتي منذ زمن بعيد ، على الرغم من والدي ، لأنك أردت أن تكون عوناً لك على الانتخاب ، ولكنها ماتت كسيرة القلب حسرة وندامة ، وهي في فراشك وتحت رعايتك ، وأراك الآن تلجأ إلى شر الوسائل وهم الأشراف ، لأنهم يريدون القضاء على الديموقراطية باسمك ، ليتوسلوا بذلك الى التحكم في رقاب الناس ودمائهم وأموالهم زمنا . وحينما يتم لهم ما يريدون وتنتهي الحرب . . .

بومبي : لا طاقة لي بسماع مثل هذا الكلام (يحاول دق الجرس)

أسيليس : لا يسعك إلا أن تدخل الإصلاح الذي يحارب قيصر في سبيله . إنك تريد أن تشل سلطة الأشراف ولكنك ستجد منهم أشد معارضة .

دوميتيس يكرهك . ميتلس يخافك . لينتولس قد ملئ قلبه غيرة منك ، وهم يدبرون طريقة للخلاص منك الآن (سكوت)

تخلص منهم أنت ، وباعد بينك وبينهم ، واتخذ قيصر صديقا لك ، وضع حدا لهذه الحرب الضروس .

بومبي : وبعد ذلك ؟

أسيليس : تكون رومه أطوع لك من بنانك ،

(بومبي يدق الجرس — يدخل القواد)

بومبي : ثم ماذا ؟ (سكوت) يخضع حزبك لحزبى ، (يكتب بعض الكلمات) بلغ هذه لقيصر (يعطيه ما كتب) اسمحوا لهذا الرجل بالمرور آمنا .

أسيليس : إنى ذاهب الآن وأظن أنى لا أراك مرة ثانية .

(يخرج تيوفانيس)

بومبي : (يحول وجهه) ماذا تريد ؟

أسيليس : دع الكبر جانبا . ألا تعتبر بما ترى حولك من آثار الموت ؟ إنك اليوم عظيم ، يؤدى إليك الجزية ويحمل لك الإتاوة عدد من الملوك ، وربما صرت غدا جسدا هامدا ، كهذه الجثة (يشير إلى جثة فلاكس) تثنى عليك الحشرات ، ويأكلك الدود .

بومبي : لقد ذكرت الموت وقربه ، وقلة أشياعى عليه ، ولكنى أتمتع الآن بالحياة ، ومع هذا ، مرحبا بالمنون ، (يدخل كوتا والضابط وتيوفانيس ويحيون) لست أعبأ بما يئول إليه أمرى بعد ، فلربما صرت جيفة ، يأكلها الطير ، وتنال منها السباع ، ولكن ما دمت حيا أحمل بين جوانبى مبدأ طاهرا ، فلا بد من الدفاع عنه بكل ما أوتيت من قوة وسلطان ، اصحبوا هذا الرجل حتى يمر آمنا على نفسه .

(كوتا والضابط يخرجان الرسول معصوب العينين — أبواق . ضوضاء . هتاف .)

(ينظر القواد إلى بومبي وهو يمشى نحو الجثة ليراها) بعيد مداه

مسكين أنت ! فارقت هذه الحياة ، ورحلت إلى عالم آخر . إنك حينما ولدت التف حولك النساء وقبلنك ، وراقبنك فى مهدك ، وقد ملأ النوم أجفانك ، وسألن الله لك السلامة وطول البقاء ، جريا على عادتهن ، ولما تعلمت الكلام مدحنك ، وابتسمن فى وجهك ، وامتلأت قلوبهن شفقة ورحمة عليك ، وتظاهرن بالسرور حتى لو كان الألم ملء أفئدتهن . أما الليلة فإنى أراك وحيدا لا أنيس لك ، ولا سبيل الى محبتك : لا تسمع صوتا ، ولا تجيب داعيا ، ولا تشعر بهم من هموم هذا العالم . وا أسفا لوحدة الموتى ووحشة القبر !

دوميتيس: (يمشى إلى الأمام ثم ينظر إلى الجثة) إن الحزن لا يجدى ، وقد جرى ذلك فى علم الله .

بومبي : أريد أن أصارحك القول . إنى أعترف لك ببعض الفضل فيما فعلت ، لو اتبعت مشورتى لكان خيرا . حقا نتيجة الحرب الخراب ، وهذه آثاره بادية ولكن لا راد لما كان ، ففكر فى رومه ، وكيف ترجع اليها ولم تنل النصر المبين ؟

لينتولس : إنهم يقولون جهارا فى رومة : إن قيصر هزمنا شر هزيمة

تيوفانيس : وغلبنا فى كل موقعة

بومبي : ماهذه الضوضاء (صياح : « النصر » تصفيق . أبواق . نداء : « استعداد » قعقعة الرماح ، (يدخل لوسيس فى ملابس مدنية)

لينتولس : لوسيس !
تيوفانيس : لوسيس ! } معا

(لوسيس ينظر إليهما ساكنا يحيي الجثة ويتقدم ببطء)

لوسيس : أحييك يابومبي ، لقد أتيت من رومه

بومبي : ما وراءك من الأخبار ؟

لوسيس : أخبار انتصارك ، فان جيش قيصر تحت قيادة كيوريو قد هزم هزيمة شنعاء وقتل قائده ، وردت الينا الفريقية بعد احتلالها (يأخذ قوس النصر

ويقدمه له بكل احترام) لقد بعثنى اليك الرومانيون بهذا الشعار .

بومبي : (يتناول قوس النصر ويضعه على رأس القائد فلاكس) منذ زمن بعيد لعبت معك مرة فى كابيو بجانب بحيرات السمك الذهبى ، فكانت أبصارنا غارقة فيه ، نرقبه فى حركاته وسكناته ؛ وفى ذلك اليوم الجميل سألتنى أن أمنحك عباءتى (يضع العباءة على الجثة) فى ذمة الله ايها الراحل ، نم هادئا فلك جميع ماتتمنى الآن : إن الكلمة ربما كانت كنجم لامع فى السماء ، أو سيف شديد المضاء ، يظهر لى أن هذا يوم الفوز والنصر على الأعداء ، (ويسمع صوت الأبواق من بعيد مرة ثانية)

تيوفانيس: إن الأبواق تنفخ الآن .

بومبي : إنها بنغمة محزنة كأنها نغمة الموت .

دوميتيس: هذا نداء رومانى فى معسكر قيصر (يزحزح يده جزءا من الخيمة جانبا) هذا هو ضرب الاستعداد للرحيل ، إن قيصر يتقهقر بجنوده ، وقد اشتعلت النيران فى خيامه ، وإنى أرى جيشه الآن يعبر المضيق . ويكفى لإبادته عدد من الرجال لا يتجاوز الألفين .

بومبي : لست أود إبادتهم ، ومع هذا سيهلكون أنفسهم ؛ فإنهم يتيهون فى أرض موحشة ، لا نبات بها ولا ماء بعد أن ذهبت آمالهم ، واستولى عليهم الفزع ، وخلعت قلوبهم من صدورهم — وارحمتاه لجيش تردد أبواقه نغمات الموت الذى ملأ قلوب الرجال وتمثل فيها ! سنتبعهم . ادع لنا رؤساء الضباط

(تيوفانيس يذهب إلى الحارس فى الخارج ليبلغه الأمر)

لنا النصر (يذهب إلى الجثة) سنغادر الليلة هذه الأرض القاحلة مقتفين أثر قيصر ، وملبين نداء الأبواق تحت سماء زينتها نجومها ، تتغنى فى أثناء المسير وقد تزودنا لسفرنا ، فليت شعرى ما زادك لبعد طريقك ؟ . سأضع حدا لهذه الحرب الطاحنة ، بالقضاء على الثورة وأسبابها . لا بقتل هؤلاء الرمانيين .

(يدخل كبار الضباط)

انفخوا الأبواق ، واطووا الخيام ، واستعدوا للسير ، (يخرج ضابط فينادى : احملوا هذه الجثة)

الضابط الأول :

عليك سلام من أمير ، وبارکت ... يد الله فى ذاك الأديم المزرق
فمن بحر أو يركب جناحى نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

الضابط الثانى :

سأبكيك ما فاضت دموعى فان تفض ... فحسبك منى ما تكن الجوانح
كأن لم يمت حى سواك ولم تقم ... على أحد إلا عليك النوائح
لئن حسنت فيك المراثى وذكرها ... لقد حسنت من قبل فيك المدائح
فما أنا من رزء ، وإن جل ، جازع ... ولا بسرور بعد موتك فارح

الضابط الثالث :

حرام على الأجفان أن ترد الكرى ... أجل ، مالها إلا التسهد مورد
هو الدهر يرمينا بأسهم صرفه ... فيصمى الرمايا حين يرمى ويقصد
فلا جمع إلا والزمان مفرق ... ولا شمل إلا بالخطوب مبدد
جرت عادة الدنيا بكل الذى ترى ... وليس لها ترك لما تتعود
فصبرا ، وتسليما لكل ملمة ... إذا لم يكن يوما على الدهر منجد

الضابط الرابع :

أحسن بالواجد من وجده ... صبر يعيد النار فى زنده
ومن أبى فى الرزء غير الأسى ... كان بكاه منتهى جهده
سلم إلى الله فكل الذى ... سلبك أو سرك من عنده

(يحملون الجثة ثم يخرجون ، ووراءهم پومپى ولا يبقى سوى دوميتيس وتيوفانيس ولينتولس ولوسيس) .

تنفخ الأبواق ويرن صداها ويذهب بعيداً ، وتردد النغمات فى جهات متعددة ؛ حتى يمتلىء الهواء بصداها ورنينها .

تنزل الستارة

المنظر الثانى

فى خيمة بومپي وقد انفجر الفجر ، وجلس بومپي يكتب بعض المذكرات

(يدخل لوسيس)

لوسيس : ألست نائما ؟

بومپي : لقد تواردت على الأحلام : أحلام الشر . هل كنت تطوف على على المعسكر وتتفقد حاله ؟

لوسيس : نعم لقد رأيت فى أثناء طوافى بالقرب من معسكر قيصر ، نورا ينبعث فى كل الجهات . ويظهر أنهم يحرقون جثث موتاهم ، وقد أخذت كشافتنا اثنين من فرسان العدو وهما يقولان إن رجال قيصر يموتون جوعا وإن الحمى منتشرة بينهم .

بومپي : إذن يجب عليه أن يخضع فى بضع أيام . أتظنهم يضرمون النار فى موتاهم ؟ أمامنا الآن رومة فيجب علينا أن نفكر فى شأنها ونقرر مصيرها ونطمئن أفكار الناس فيها . (سكوت) اعترانى الأرق وأقض على المضجع وسبح الفكر فى ملكوت السموات والأرض ما شاء . أناشدك الله ماهو الإنسان ؟ وهل تعرف له من غاية ؟

لوسيس : خلق الإنسان من تراب وغايته الموت .

بومپي : كلا . إن له روحا لا تفنى وقد استأثر الله بعلمها . لقد رأيت رجلا مجنونا أيام كنت فى مصر ، يصوب عينيه نحو الشمس ، حتى نال وهجها من بصره ، ولما دنوت منه سمعته يقول : إن الأفكار تخرج من الشرق كالجراد ، فتهبط فى ممرها على بعض الأمم ، وتنفخ فيها روح الحياة ، فاذا أخذت البلاد زخرفها وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، اذن الله بذهاب تلك الأفكار ، فغادرت مستقرها وهامت فى الصحارى والقفار ؛ حتى يأتيها أجلها ، وتموت وتقبر فى كهف كان

يأوى إليه الانسان المتوحش. وطالما خطر ببالى أن هذا رجل ألهمه الله الحكمة وأطلعه على بعض أسراره فى خلقه فتظاهر بالجنون ، إنى أرى طائفة من الافكار الجديدة قد هبطت رومة فتمخضت عن حياة جديدة وعصر جديد ، لقد زعمت منذ سنة أن رومة كانت تتطلب رجوع الملوك وعودة الحكم الشخصى ، ولكنى أرى الآن انها ترفع الصوت يدوى فى الفضاء وتتلمس جبارا طاغية يقضى على الحياة القديمة ؛ حتى لايتوارى منها شيء .

لقد تغيرت رومة فصارت فى الحقيقة مثلا للقوة (الديموقراطية) تحاول القضاء على كل القوانين القديمة التى أكل الدهر عليها وشرب ، واتسعت مسافة الخلف بينها وبين الحياة ، أما فى الظاهر فلا تزال كما كانت قبلا ـ مدينة لا تكافئ سوى نفر قليل من العظماء ، وسوقا يبيع العامة فيها أرواحهم ، رغبة الحصول على قوت يومهم ؛ واجسامهم طمعا فيما قد يصيبون من السلب والنهب والمغانم الكثيرة ، لابد ان يمنح الشعب سلطة كبيرة .

لوسيس : (بدهشة) لقد سلخت اربعين عاما من عمرك فى القضاء على الديموقراطية ، فلا معنى اذن لمنح الشعب مايريد من القوة والسيطرة .

بومبي : نجحت فى قمع الثورات ولا بد من إزالة أسبابها الآن وحدوث تغيير عظيم وإصلاح كبير .

(يدخل ميتلس ودوميتيس ولنتولس)

لوسيس : (يقدم ورقة) هذا هو تقريرى (يحيي ثم يذهب ويقف عند الباب قليلا ناظرا إلى الخارج) إنهم يموتون كالذباب ، والجثث لا تزال تحترق (يختفى)

(يجلس القواد أمام بومبي وجها لوجه)

ميتلس : اختصنى قيصر برسالة يرجونى فيها أن أسألك عن شروط الصلح ، فرددتها إليه من غير تعليق عليها ، انتهت الحرب غير أنا لسنا آمنين

على أنفسنا إلى الآن ؛ لهذا يجب علينا أن نملأ الحصون والثكنات في كل الجهات برجال نوليهم ثقتنا ونعتمد عليهم في الدفاع عنا ، ولقد اتفقنا فيما بيننا على من يتولى أمر أسبانيا وبلاد الغال ، ولكن الوظائف الثانوية لم نتفق فيها على شيء الى الآن انتظارا لمشورتك ، ولعلك تعني بأمر تيوديتانس الذي فكرت في إرساله نائبا عني في آسيا

پومپي : أذلك هو الرجل الجندي الذي أبلى بلاء حسناً تحت قيادتك ؟ (يخاطب دوميتيس)

دوميتس : لا . هو ابن أخيه

ميتلس : هو ضابط حدث في أركان الحرب .

پومپي : أتراه كفئا لهذا المنصب ؟ وهل تسمح له تربيته وتؤهله لأن يكون رئيس القضاة ؟

ميتلس : لا ، إذا تكلمنا من الجهة الفنية ، ولكنه كان من أنفع الناس لي في آسيا ، وهو ذو مقدرة عملية

پومپي : كيف نفعك ؟ وبأي وسيلة ؟

ميتلس : في جباية الخراج ، حينما أراد العامة أن يماطلوا ، وان يخرجوا من تحت أيدينا ، حتى يأتي اليهم قيصر ، ولولا ما اظهر من حسن التصرف والحزم ، لخلت خزانتنا من المال ،

پومپي : هذا حسن ، ولكن رئيس القضاة يمثل روما ، ويحمل تبعة كبرى ويحكم بين الخصمين ، ويسوي بينهما في مجلسه ، ويحافظ على القانون ويقيم العدل بين الناس ويجب ان يتعلم مهام وظيفته ، ولكن قل لي ماذا فعل فضلا عن جميع الضرائب حتى نضرب بالقانون عرض الحائط ، ونعينه رئيس القضاة ؟

ميتلس : إن والده قد ضحى بكثير في سبيلنا ، وهو شاب ذكي الفؤاد ، مملوء بالإخلاص ، ويجب علينا أن نساعده في أمره ، وإني أوصيك به خيراً

پومپي : إن حسن رأيك فيه سيكون خير مساعد له ، هل أظهر كفاية في

الإدارة ، ودهاء فى القيادة ، وصبراً جميلا فى ميادين القتال ؟

دوميتيس : كان فى فرقة الفرسان مدة من الزمن .

بومپي : ولكن أنى لك أن تثق به وتحسن رأيك فيه ؟

ميتلس : لاتبحث فى هذا ؛ لأنى أسير على مقتضى القاعدة ، وهى أن أصدقاءنا يجب أن يكافئوا .

بومپي : رئيس القضاة عظيم السلطان ، ولابد أن يتعلم واجبه قبل استحقاق مركزه .

لينتولس : هل لك فى أن تراه قبل ان ترده خائبا . ان ميتلس ودوميتيس لا يمدحانه إلا لسبب خطير .

بومپي : لابد من سبب معقول ، وإلا كان عملنا محاباة لا تتفق مع القانون وربما كان من نتائجها حصول حرب وثورة على الحدود . لا يسعنى أن أعينه رئيس القضاة .

ميتلس : بومپي ، ينبغى أن تذكر أنه أحد الأفراد الذين يحق لهم أن ينتظروا منا الوظائف

بومپي : إن السلم سيظهر مقدرتهم وكفايتهم ، وهناك آخرون مع قيصر يحق لهم كذلك أن يتقلدوا بعض المناصب (ينظر القواد بعضهم إلى بعض ويتنفسون الصعداء)

دوميتيس : هناك شيء آخر ، إنا ذاهبون إلى روما وهى فى حالة اضطراب وثورة ويجب أن نأمن على أنفسنا من خطر الأعداء ، ولذلك أسألك محاكمة كل رجل له بين الناس منزلة فى روما ولو بقى على الحياد ، لأن الثائرين إن أذنبوا بالخروج عن السلطة ، فان المحايدين قد أهملوها ولم يعبئوا بها ، وكلا الفريقين يجب أن يناله منا العقاب ، حتى نستأصل جذور الثورة (يعطيه قائمة)

فى هذه أسماء أربعمائة رجل ممن ساعدوا على إشعال نار الثورة ، وليس هناك مجال لمحاكمتهم ، ومناقشتهم الحساب ، بل يجب أن يقتلوا

بومبي : كلا ، إن الحرب تنتهى حينما يخضع قيصر ، ولا أسمح لأحد ما بالانتقام إن روما يجب أن تكون ساكنة هادئة مطمئنة

لينتولس : هل لك فى أن تبين لنا الخطة التى ستسير عليها فى حكم روما حينما ترجع ؟

ميتلس : (بهدوء) سيكون هناك عفو عام عن جميع الجرائم التى ارتكبت ؟

بومبي : نعم

دوميتيس: أتعفو عن هؤلاء الثائرين ؟

بومبي : إذا خضعوا

لينتولس : هل تسمح لهم بمساعدتنا فى الإصلاح ؟

بومبي : إن السلطة محصورة فى عدد قليل من الأيدى ، ويجب أن يحدث تغيير فى روما وطرائق حكمها ، وإنى أوثر أن يكون هؤلاء الأربعمائة ، الذين تسميهم عصاة ثائرين ـ من أعضاء السناتو حتى يساعدونا على إدخال الإصلاح مع الحزم والحكمة .

دوميتيس: هناك طريق واحد لا غير فى جعل روما هادئة مطمئنة ، ذلك بأن يقبض الإنسان عليها بيد من حديد .

لينتولس : إن العفو عن هؤلاء العصاة سيحلنا محلنا الأول الذى كنا فيه قبل الحرب ، وسيبغضنا العامة ويسخرون منا ، ونكون فى خطر منهم ، وعرضة لضياع أملاكنا ، وفقد امتيازاتنا تدريجاً ، وإنى أتقدم اليك أن تفكر فى هذه الاقتراحات ، وتنظر فيها بعين الحكمة والحزم ، وترى أثرها ونتائجها فى حزب الأشراف ومستقبل البلاد

بومبي : أى مستقبل تنتظر بعد مذبحة كهذه ، ثورة عامة فى جميع الجهات سأرجع إلى روما وعلم السلام بيدى ، يرفرف على كل رجل من أعدائنا وأصدقائنا على السواء .

لينتولس : قبل أن ترجع بسلام يجب أن تضع حدا للحرب ، وقد وصل إلى رسائل من روما وصوت الشعب هناك ينادى جهرة بأن الحرب قد طالت مدتها ، وإنا نخاف قيصر وجنوده ، ونخشى الغلب إذا عجلنا

بالموقعة، وهذه روح خطرة فى مدينة تتولى حكمها بعد قليل . هـذه الروح لايذهبها إلا نجاحنا نجاحا باهراً فى هذه الحرب، يجب أن نرجع منصورين ، ولهذا أتقدم اليك بأن تأمر بموقعة يكون فيها لنا النصر .

ميتلس : لقد سألنا ذلك من قبـل فلم نلق منك آذانا صاغية ، ولكنا نكرر السؤال ونعيده عليك الآن . إن جميع مافى خزائننا من المال قد قرب أن ينفد ، وليس هناك من طريق للحصول على الذهب والفضة ، فالبـلاد فى فقر مدقع ، وحالة النـاس تستدعى الأسى ، وطريقتك السلبية ـ طريقة الانتظار والتأجيـل ـ أنزلت من قيمتنا لدى العامة . ليس فى استطاعتنا البقاء فى الميـدان شهراً آخر ، فيجب أن ننادى فى الجند : « الغارة الغارة »

بومبي : قيصر لايستطيع البقاء فى الميدان أسبوعا .

دوميتيس : سيستمر قيصر يوما بعد يوم ، حتى ينضج القمح الذى بدا صلاحه وسيحصد بعد أيام قلائل ، وعندئذ يجمع رجاله الذخيرة والزاد ، ويتمكنون من المقاومة والبقاء فى ميادين الوغى زمنا طويلا ، مع أن فى استطاعتى الآن القضاء على جيوش هذا الخارج بطائفة من الفرسان

بومبي : يمكننى أن أحطم قوته من غير مخاطرة برجل واحد ، ولا إلقاء بنفس إلى تهلكة . أنا لا أبتدىء الحرب ، وينبغى أن تشكروا الله على أن هيأ لنا أسباب القضاء على هذه الفتنة الشعواء من غير سفك للدماء .

(يقف القواد)

دوميتيس: أنت اكبرنا سنا ياليبنتولس

ليبنتولس : ولكنك محبوب لدى العامة ، فلم لاتصارحه القول ؟

ميتلس : سأفعل ذلك ، وأكفيكما مئونة الكلام ، ولى من حسبى وصلتى به خير شفيع .

بومبي : فيم تريدون الكلام ؟

ميتلس : إنك مغرم بالسيطرة ، مولع بحب الرياسة ، وليس أدل على ذلك من إهمالك فى الحرب ، وعدم وضع حد لها . وها هى ذى قد انتهت وانقضت معها قيادتك ، إنك تحاول الآن أن تكون لك القيادة دائما ، وأن تحمل السناتو على النزول عند إرادتك ، والخضوع لإشارتك ، ولا شك أن ذلك خطر كبير يتهدد الجمهورية ، ولهذا اضطررنا لدعوة السناتو للاجتماع حتى يتناقش الأعضاء فيما ينبغى اتباعه فى الظروف الحاضرة ، ولقد وافق على تعيين تيوديتانس وعلى هذا الكشف وأصدر أمره لك بمحاربة قيصر ومناجزته الغارة (يعطيه ورقة . يمشى بومبى قليلا ثم يقف بجانب منضد ويواجه القواد)

بومبى : ماذا تنتظرون منى أيها الآباء المجندون ؟ أتنتظرون أن أرفض هذه الأوامر ؟ إن فى استطاعتى ذلك ، ولو كنت قيصر أو واحدا منكم لفعلت ، ولجأت إلى القوة ، وحملت الجند على الانتقام من السناتو ، الذى أهاننى ، ونال من شرفى ، وحط من كرامتى عند الشعب ، ولكن العهود العسكرية التى أخذتها على نفسى تمنع بومبى الكبير من ذلك ؛ إن الموت مع الكرامة أهون لدى من فقدان الذمة ، على أنى لو مت فان روما ستقع فريسة لطائفة من الرجال الذين لا عهد لهم ، ولا يتقيدون بقانون ، ولا يثبتون على مبدأ . لم يبق لروما من أمل فى ذلك المستقبل الذى كانت تنشده وتتطلع إليه . لقد انتهت عظمتها ، وستتوالى عليها المصائب .

وما منعكم عن أن تنزلوا منزل الذلة والخضوع والاستكانة بباب قيصر إلا بومبى هذا ، الذى خرجتم عليه ، وكدتم له فى الخفاء ، بعد أن خلص روما ، ونجاها من قيصر وجنوده ، وها هى ذى تمد إليكم يدا للأخذ بناصرها ، وانتشالها من مخالب الخراب العاجل ، الذى دفعتم بها إليه ، وجعلتمونى وسيلة له ، وما أولاكم بأن تحاربوا فى

سبيلها أولا ، وتخاطروا بحياتكم عسى أن تخفى ذنوبكم و تلبسوا ثوبا من الكرامة لدى العامة (يدق الجرس)

(يدخل « ياوره » الخاص)

أعط الأمر بالتحفز للموقعة

(يخرج)

الآن تم لكم ماتريدون ، وعما قليل تنتهى الحرب ، ولكن هل دار بخلدكم أنكم بعملكم هذا تخربون روما ، مع مااشتملت عليه من آثار الآباء والأجداد ، روما مهبط الحضارة ، ومستقر العدل .

إن روما لا تزن عندكم جناح بعوضة ؛ فقد عميت قلوبكم ، وعلت الغشاوة أبصاركم ، واستسلمتم لما اشتملت عليه نفوسكم من العداوة والبغضاء والطمع والكبرياء .

كانت روما منذ زمن قليل سوقا تجارية ، يحكمها نفر من الزارعين ولكن أوروبا الآن تدين لها وتخضع لحكمها .

استمرت الحرب الأهلية أربعين عاما ، وعم القلق ، وساد الاضطراب ، وجاهد الشعب فى سبيل الحرية

(ضوضاء فى الخارج وأصوات الضباط يلقون الأوامر على فرقهم بالاستعداد للسير ، ومناجزة قيصر الحرب . تنفخ الأبواق)

منذ خمس دقائق كان مستقبل روما فى يدى . أصوره كيف شئت وكنت عقدت العزيمة على خلاصها من يد كل جبار عنيد .

هذا هو وقت خلاصها ، فحاربوا فى سبيلها وفكوا أغلالها ، وحلوا قيودها ، واجعلوا لها بين السماكين منزلة ، حتى ينسى الناس ذكر أثينا ، وما شاده اليونان قبلكم ،

أنكم تضنون عليها بذلك ، وستتبعون شهواتكم ومطامعكم ، وترجعون بها القهقرى ، وتؤخرونها ثلاثمائة سنة

استمروا فى أعمالكم وخربوها أو تموتوا ، وسواء عليكم أغلبتم أم

نال منكم عدوكم ، إن روما قد انتهت » سكوت »

« أوامر عسكرية تلقى فى الخارج . وقع أقدام الجند فى سيرهم »

دوميتيس : هل عندك أوامر أخرى ؟

بومبي : طالما تمنيتم لو حاربتم هذه الموقعة ، وهاهى ذى الحرب قد جدت بكم فجدوا ، وأحرقوا بنارها هذه الحيوانات الضارية — لقد كان فى استطاعتى أن أقتلهم جوعا كما تموت الوحوش .

(يخرج القواد بهدوء أما بومبي فيقف بجانب المنصة ويدخل فيلب فلا ينظر إليه . تسمع نغمات المزامير أمام الجند تشجعهم على المسير)

فيلب : هل من حاجة يامولاى ؟

بومبي : (يلتفت) هل تغنى يافيلب ؟

فيلب : أغنى يامولاى ؟

بومبي : نعم . ألا تذكر تلك الأغنية التى غنيتها ذات ليلة فى الحروب الأسيوية حينما تم لنا النصر ؟ لقد كانت تدور حول الفناء ، ونهاية جميع الأشياء

فيلب : (شاكا) لست أدرى إن كنت أستطيع ذلك يامولاى ؟

بومبي : غن يافيليب

فيلب : سمعا وطاعة يامولاى

ينشد

ياليل قد نام الشجى ولم ينم جنح الدجنة نجمها المسهار
إن كانت الخضراء روضا ناضراً فلعل زهر نجومها أزهار
والناس مثل النبت يظهره الحيا ويكون أول هلكه الأظهار
والجهل أغلب غير علم أننا نفنى ويبقى الواحد القهار

« تنزل الستارة »